

العلاقات التركية الروسية بين التقارب والتجاذب Turkish-Russian relations between rapprochement and attraction

والي إبراهيم الخليل¹

¹ جامعة محمد بوضياف - المسيلة، brahimelkhalil.ouali@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2023/09/14 تاريخ القبول: 2024/03/19 تاريخ النشر: 2024/10/15

ملخص:

في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية نجد للعلاقات التركية الروسية حيزا من هذا التغير فقد شهدت فترات كبيرة للتصادم بين البلدين في ظل احتوائهما على حضارتين عظيمتين، وسنحاول في هذا المقال الولوج إلى مسار العلاقات بين البلدين واستشراف علاقتهما في ظل عودة مفهوم القوة الصلبة على العلاقات الدولية بعد تراجعها لفترة وجيزة، وهذا من خلال التطرق لعلاقتهما التاريخية ومساهما الحافل بالتفاعل الدبلوماسي والسياسي والاقتصادي مرورا بمجالات الخلاف والتقارب بين البلدين.

كلمات مفتاحية: العلاقات الدولية، المتغيرات الدولية، القضايا الإستراتيجية، روسيا، تركيا

Abstract:

In light of the international and regional changes, we find the Turkish-Russian relations a part of this change, as they witnessed great periods of collision between the two countries in light of the fact that they contained two great civilizations. For a short period, and this is by addressing their historical relations and their empty path within its diplomatic, political and economic framework, passing through the areas of disagreement and rapprochement between the two countries.

Keywords: International relations, international variables, strategic issues, Russian, Turkish

مقدمة:

شهدت العلاقات الدولية تطورات وتغيرات في بنيتها خاصة بين أطراف النظام الدولي والتي انعكست على العلاقات الثنائية بين الدول، وتأثي العلاقات الروسية التركية كجزء من هذا التغير على اعتبار أن التحليلات والدراسات الاستشرافية الأكاديمية تنبأ بأن النظام الدولي سيتغير ليكون نظاما متعدد الأقطاب بزعامة مجموعة من الدول الصاعدة، وفي طليعتها روسيا وتركيا، كونهما قوتين صاعدتين تمتلكان المقومات القيادية الإقليمية والدولية والحضارية بقيام حضارتين مختلفتين على أراضيها. فالمتبع لتاريخ العلاقات بين البلدين يرى أن الاختلاف الديني والتقارب الجغرافي كان لهما الأثر البارز في التصادم والتقارب في بعض الحالات، وعليه فالتغير البنيوي في شكل النظام والتطور المتصاعد لقوة الدولتين. وتأسيسا على ما تقدم جاءت الإشكالية كالآتي:

- كيف تؤثر التحولات على مستوى النظام الدولي على العلاقات الروسية التركية؟

وتضمنت الدراسة الأسئلة الفرعية التالية:

* كيف كان مسار العلاقات بين البلدين تاريخيا؟

* ما مستوى العلاقات بين البلدين في جانبها السياسي والاقتصادي والعسكري؟

* ما هي مسارات التقارب والتصادم بين البلدين؟

ولمعالجة الإشكالية والأسئلة الفرعية، اقتضت الدراسة تناول المحاور التالية:

الخلفية التاريخية للعلاقات الروسية التركية

العلاقات السياسية والدبلوماسية

العلاقات الاقتصادية

العلاقات الطاقوية والعسكرية

مجالات التقارب والتصادم التركي الروسي

تركيا وروسيا في ظل الأحداث الراهنة

الاستنتاجات

أولاً: الخلفية التاريخية للعلاقات الروسية التركية:

تتضمن مجالات التنافس بين تركيا وروسيا أبعاداً ومستويات متعددة، باعتبارها قوتين إمبرياليتين سابقتين شهدتا حضارتين متناقضتين مما أوجد مناطق نفوذ متداخلة. إذ تتشابه علاقتهما تاريخياً، حيث خاضتا قرابة 17 حرباً فيما بين عامي 1568م و1917م. فقد أدى صعود الإمبراطوريتين لتناحرهما وعدائهم، فيما استدعى الجوار الجغرافي والاختلاف الديني تصارعهما عسكرياً على مدى القرون الخمسة الماضية¹.

فالعلاقة المعقدة والمتقلبة بين روسيا وتركيا لها أثرها التاريخي، إذ كانت الإمبراطورية العثمانية القوة المهيمنة في المنطقة كانت بعض الجمهوريات المجاورة لروسيا خاضعة لها، وكان خان القرم يحكم الشؤون الروسية. توسع روسيا لتصبح إمبراطورية جعلها منافسة للدولة العلية ليمتد حكمها إلى القوقاز، مما أتاح لروسيا الوصول إلى البحر الأسود وسيطرتها لاحقاً على مضيق البوسفور والدردنيل. ومنه المنافسة وانعدام الثقة والصراع لتصبح السمات الغالبة على العلاقات الروسية التركية بين منتصف القرن السادس عشر ونهاية الحرب العالمية الأولى، حيث اشتبك الطرفان في 12 مرة في البلقان والقوقاز ومنطقة شمال البحر الأسود. غير أن هذا الصراع لم يمنع تعاون الطرفين لمواجهة حملة نابليون بونابارت ضد مصر في أوائل القرن التاسع عشر في عام 1831².

بأنهيار الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية واستبدالهما بنظام شيوعي في موسكو وآخر قومي في أنقرة، اتسمت العلاقات بين البلدين بالتعاون فيما بينهما بتقديم المساعدات لكمال أتاتورك من طرف موسكو. في حرب الاستقلال التركية 1919-1922 ليظل تحالفهما إلى نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي. وقد كان التعاون والتضامن بين البلدين مدفوعاً بأولويات النظامين؛ كلاهما كان يسعى لكسب الاعتراف الدولي، والتركيز على وحدة الأراضي، وضمان الاستقرار في المجالات الاقتصادية والسياسية³.

خلال هذه الفترة وقعت الدولتان على معاهدات لتأمين حدودهما المشتركة والتعبير عن وجهات نظر متسقة حول السياسة العالمية، شملت معاهدة موسكو ومعاهدة قارص ومعاهدة الصداقة والحياد⁴. وكان التعاون عاملاً لعدم حدوث أي نزاعات. فرفع شعار "سلام في الداخل، سلام في العالم" لأتاتورك في تلك الفترة هدفه الابتعاد عن الخلافات وبناء فهم مشترك وإستراتيجية طويلة الأجل. وكان الاستثناء الملحوظ الذي بدأ في التطور في ذلك الوقت هو التعاون الاقتصادي الذي أصبح بمرور الوقت معياراً في العلاقات بين البلدين⁵.

خلق قرار تركيا الانضمام إلى حلف الناتو في عام 1952 مدفوعاً إلى حد كبير بخوفها من الاتحاد السوفيتي وتوترات بين الطرفين، وبنهاية الحرب الباردة برزت بوادر بناء علاقات ودية أكثر مع موسكو. ففي عام 2001م وقع البلدان خطة عمل مشتركة للتعاون في أوراسيا، مما أشار إلى عزمهما على العمل معاً بدلاً من التنافس في الجوار المشترك. وبتولي "فلاديمير بوتين" سدة الحكم عام 2004م بروسيا الاتحادية، كان أول رئيس روسي يزور تركيا. بتغير النخبة الحاكمة (روسيا- تركيا) شهد البلدان تنافساً بشكل متزايد لإبراز نفوذهما الإقليمي والدولي، ليشكل ذلك تصادم في الرؤى والأهداف لكليهما، ومع هذا فإنه لم يمنع من أن تكون لهما أرضية مشتركة للتفاهم والتعاون، وإقراراً بهذا التنافس، أشار وزير الخارجية الروسي "سيرغي لافروف" في أكتوبر 2020م، إلى أنه على الرغم من أن تركيا لم تكن أبداً حليفاً استراتيجياً لروسيا إلا أنها "شريك موثوق فيه"، سمح هذا التصريح ببناء شراكة ذات طبيعة إستراتيجية في العديد من القطاعات⁶.

ثانياً: العلاقات السياسية الدبلوماسية:

يعتبر التقارب السياسي والدبلوماسي بين روسيا وتركيا أحد الأسس في مستويات التحليل، إذ غالباً ما يذهب علماء السياسة في تحليلهم لصنع السياسة الخارجية على المستويات التالية: الفرد، الدولة، النظام الدولي. وفي ضوء العلاقات الروسية التركية تأخذنا هذه المستويات من التحليل إلى طرح تساؤلات عدة. أولاً: ما مدى تشابه وتوافق بوتين وأردوغان كقادة سياسيين؟ ما مدى تشابه الأنظمة السياسية التي يقودونها، وكيف تتفاعل تلك الحكومات مع بعضها البعض؟، كيف وأين تلتقي روسيا وتركيا ببعضهما البعض خارج حدودهما، وكيف أدارتا هذه التفاعلات؟ يتم تأطير التفاعل بين روسيا وتركيا من خلال وجهات النظر العالمية المتشابهة لقادتيهما والأنظمة السياسية القابلة للمقارنة بموسكو وأنقرة. وعلى صعيد دولي فإن علاقات البلدين تتسم بالتعاون والتنافس حسب مقتضيات النظام الدولي وتفاعلاته الجيوسياسية، فيتوافق الرئيسان فلاديمير بوتين ورجب طيب أردوغان ويتقاسمان عدم الثقة في السياسات الغربية، والاستياء من استبعادهما من مشروع التكامل الأوروبي⁷.

بالرغم من تجاوز خلافاتهما لتجنب تأثيرها على علاقاتهما في بعدها السياسي الدبلوماسي، إلا أنه قد يكون من الصعب بشكل متزايد إدارتها في عالم يبدو أكثر ديناميكية واضطراباً. فعلى المستوى الفردي يرى العالم السياسي "ديميتار بيتشيف" أن بوتين وأردوغان يشكلان "توأماً سياسياً، ولأنهما من عامة

الشعب، تتسم شخصيتهما بالصرامة والصرامة، ويقفان في مواجهة الغرب باسم شرف دولتهم". يشير بيتشيف أيضًا إلى أنه تم إرساء الأسس للشراكة الروسية التركية خلال فترة التسعينيات من القرن الماضي⁸.

ثالثا: العلاقات الاقتصادية:

ترتبط العلاقات الروسية التركية بشكل وثيق اقتصاديا في مسار تصاعدي وتطور سريع منذ العقد الأول من القرن 21م، فبعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام 1990 كان القطاع التجاري المؤسس للعلاقات الاقتصادية الثنائية، ومقدمة لتطور العلاقات السياسية⁹. وأظهر التبادل التجاري بين البلدين نموًا متزايدًا في العقد الأول من القرن 21م، حيث بدأ بـ 5 مليارات دولار في عام 2000 ليبلغ ذروته عند 38 مليار دولار في عام 2008، كما أثرت الأزمة المالية العالمية على العلاقات الاقتصادية بين البلدين وانخفض حجم التجارة إلى 22.7 مليار دولار في 2009، ثم نما مرة أخرى واستقر في حدود 30-35 مليار دولار في 2010-2014¹⁰.

تعد روسيا ثاني أكبر شريك تجاري لتركيا بعد الاتحاد الأوروبي، بينما احتلت تركيا المرتبة الخامسة بالنسبة لروسيا، إذ تصدر روسيا الهيدروكربونات والمعادن إلى تركيا، في المقابل تعتبر تركيا السوق الروسية مهمة لتصدير المنسوجات والسلع الجلدية والمنتجات الغذائية الزراعية. فقد تم تعزيز الصادرات التركية منذ أواخر عام 2014م بعد أن قررت روسيا تقييد واردات المواد الغذائية الزراعية من الاتحاد الأوروبي كرد على العقوبات الغربية التي شملتها. فتركيا لديها استثمارات تقدر بنحو 10 مليارات دولار في روسيا، بينما للأخيرة مبلغ مماثل. وفي ذات السياق فإن عدد السياح الروس الذين يزورون تركيا أكثر من أي دولة أخرى، إذ بلغ عددهم عام 2019م¹¹، سبعة ملايين منهم 16% من إجمالي السياح الوافدين. ومن جانب آخر استمرت روسيا ببيع الغاز الطبيعي إلى تركيا، كما أن روسيا حصلت على حصة كبيرة من الصادرات التركية، والجدول التالي يبين حجم تطور العلاقات الاقتصادية بين البلدين¹².

السنة	حجم التبادل التجاري
2004	11 مليار دولار
2008	37.8 مليار دولار
2009	21 مليار دولار الانخفاض بسبب الأزمة المالية العالمية

2012	34.2 مليار دولار
2013	33 مليار دولار
2014	32-33 مليار دولار
2020	الهدف 100 مليار دولار

ملاحظة: تم تمديد الوصول إلى 100 مليار كهدف من 2015 إلى 2023.

رابعاً: علاقات الطاقة بين روسيا وتركيا:

تعتبر روسيا المورد الرئيسي للطاقة لتركيا التي تستورد أكثر من نصف غازها الطبيعي من روسيا، ومنذ أن بدأ خط أنابيب **TANAP** الجديد في توريد الغاز من أذربيجان، انخفضت حصة روسيا (منذ أغسطس 2020م لتصل 41% من واردات الغاز التركية) لكنها لا تزال أكبر من أي دولة أخرى. بالنسبة لروسيا، فإن تركيا ليست فقط سوقاً رئيسياً لتصدير النفط والغاز في حد ذاتها، ولكنها أيضاً بلد عبور مهم لإمدادات الغاز إلى جنوب شرق أوروبا، بالاقتران مع خط أنابيب نورد ستريم 2 الذي لا يزال غير مكتمل، فإن ترك ستريم، الذي يربط البلدين تحت البحر الأسود منذ يناير 2020م سيمكّن غازبروم في نهاية المطاف من تجاوز أوكرانيا تماماً¹³ (الشكل 2):

خطوط أنابيب الغاز في تركيا والدول الموردة منها حالياً



كما لا يقتصر التعاون في مجال الطاقة على الوقود الأحفوري، حيث تقوم الشركة النووية الحكومية الروسية روساتوم ببناء أول محطة نووية تركية في أكويو، بتكلفة تقديرية تبلغ 20 مليار دولار أمريكي¹⁴.

خامسا: التفاعل العسكري:

شهد العقد الماضي زيادة كبيرة في التعاون العسكري الروسي والتركي المشترك، بتدخل روسيا عسكريًا في جورجيا في عام 2008م، ولا تزال تحتفظ بحوالي 10 آلاف جندي في منطقتي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية الانفصاليتين في جورجيا. كما تحتفظ بقاعدة عسكرية في أرمينيا، حيث تخطط "المضاعفة" للمكانات القتالية" للقاعدة من خلال نشر طائرات وصواريخ أكثر تطورًا¹⁵.

1- قضايا الخلاف والتطابق التركي الروسي:

أظهرت الطبيعة الدولية المتغيرة عدة قضايا خلافية وأخرى توافقية على المستويين الدولي والإقليمي بين البلدين، وهذا لطبيعة المرحلة الدولية التي تمر بمرحلة انتقالية نحو نظام متعدد الأقطاب، كما يراه معظم المحللين السياسيين.

1-1- قضايا التقارب: تعدّ تركيا باب روسيا البحري من البحر الأسود إلى البحر الأبيض المتوسط، وهذا شريان حياة بالنسبة إلى روسيا. كما تنظر موسكو إلى أنقرة بوصفها رئة تنفّس اقتصادي، وطوق نجاة إستراتيجيًا لتقليل التداعيات السلبية للعقوبات الغربية التي تحاصرها منذ سنة 2014م، كنتيجة للأزمة الأوكرانية. لاسيما بعد رفض تركيا مشاركة الدول الغربية فرض أو تطبيق عقوبات اقتصادية/ سياسية على روسيا، ولكونها إلى حدّ بعيد الشريك الوسيط لنقل الغاز الطبيعي إلى أوروبا، إثر فشل مشاريع الطاقة الأوروبية المشتركة، وأهمها مشروع (دفع الجنوب)¹⁶.

على نحو آخر، فإن بوتين أراد استثمار الفجوة في المواقف التركية- الأميركية لمصلحته، للحيلولة دون إكمال تركيا دائرة الطوق المفروض على روسيا بالانضمام إلى الإستراتيجية الأميركية في رومانيا وأوكرانيا وحائط الردع الصاروخي، وللتضييق عليها في مجالها الجغرافي الحيوي. إذ يمكن القول إنها نتاج الصراع الغربي مع روسيا خلال قرون ثلاثة مضت. على هذا النحو فإنه حاول استغلال تدهور الثقة بين تركيا والولايات المتحدة، التي لم تستجب لأي من المطالب التركية في سورية، خاصة تلك التي تمسّ الأمن القومي التركي بشكل مباشر (الملف الكردي). كذلك ترى روسيا أنّ القوى المناهضة للنموذج التركي باتت تكون قوسًا كاملاً في محيطها الإستراتيجي، وأنّ أنقرة تستشعر تحجيماً، ليس لنفوذها فحسب، بل لعلاقتها السياسية مع محيطها أيضاً. وكذلك، فإن بوتين يهدف إلى مواجهة العواصم الغربية والعقوبات المفروضة على روسيا، وبإمكانية اختراق المناطق العسكرية الدفاعية له. وانطلاقاً من مقاربة التعاون، أبدل الرئيس أردوغان وبوتين لغة التهديدات بلغة براغماتية، تجلّت في اللقاءات والاتصالات المتكررة بينهما.

ولعل ثلاثة أسباب رئيسة وقفت وراء هذه التفاهات: أولها، توتر علاقات تركيا مع الغرب، بشقيه الأمريكي والأوروبي، حيث امتعضت أنقرة من سياسة الغرب تجاه المسألة السورية، خاصة الدعم الغربي لقوات سورية الديمقراطية الكردية. وثانيها، البعد الاقتصادي الذي يمثل عاملاً حيويًا في العلاقات الروسية -التركية. وثالثها، أنّ التدخل العسكري الروسي أنتج في سورية معادلة جديدة على الأرض، رأت تركيا أنّ من الأفضل التعامل معها، في ظل توازن القوى والاصطفافات الإقليمية إزاء المسألة السورية¹⁷.

1-2- قضايا الخلاف: على الرغم من وجود العديد من القواسم والمصالح المشتركة بين روسيا وتركيا، فإن الاختلافات حول المصالح الجيوإستراتيجية، فضلاً عن عدم وجود جانب مؤسسي في علاقات الطرفين كعوامل مقيدة بينهما. فمن الناحية الجيوستراتيجية، تنخرط تركيا وروسيا في معسكرين متقابلين جنوب القوقاز. في حين أن تركيا متحالفة مع أذربيجان وجورجيا، فإن روسيا في نفس المعسكر مع أرمينيا وإيران. وقعت تركيا اتفاقية تعاون استراتيجي مع أذربيجان في عام 2010 ووقعت مذكرة تأسيس شراكة دفاعية ثلاثية مع أذربيجان وجورجيا في عام 2018. وتجري هذه الدول الثلاث تدريبات عسكرية بانتظام. وفي الوقت نفسه، فإن روسيا حليف لأرمينيا من خلال منظمة معاهدة الأمن الجماعي (CSTO). علاوة على ذلك، لم تعترف تركيا بالحماية الروسية لأوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، اللتين انفصلتا عن جورجيا عام 2008 بعد التدخل الروسي فيها. من ناحية أخرى، فإن روسيا تتمتع بعلاقات سياسية واقتصادية وطيدة مع القبارصة اليونانيين منذ حقبة الحرب الباردة، تدعم موسكو موقفهم في مواجهة الموقف التركي الداعي إلى التقسيم أو الاتحاد الكونفدرالي¹⁸. كما يشعر الروس بالقلق من أن التغيير في الوضع الراهن في قبرص قد يضعف نفوذهم التقليدي على نيقوسيا، وكنيجة طبيعية لسياسة موسكو التقليدية المؤيدة للقبارصة اليونانيين، تدعم روسيا موقف القبارصة اليونانيين في نزاع الغاز في شرق البحر المتوسط، وعلى الرغم من أن موسكو وأنقرة توصلتا إلى نوع من المصالحة في الأزمة السورية في إطار عملية أستانا، إلا نقاط الخلاف بين البلدين لازالت قائمة حول مستقبل سوريا. فيما يتعلق بوضع الأسد، تصر روسيا على أنه يجب أن يظل في السلطة بعد انتهاء الحرب الأهلية في سوريا، بينما كانت ترفض تركيا أن يكون للأسد أي دور سياسي في المستقبل. إضافة إلى ذلك، فإن روسيا شديدة الحساسية تجاه الحركات الإسلامية وتعتبر بعض جماعات المعارضة السورية المدعومة من تركيا إسلاميين متطرفين. كذلك يدعم بوتين عبد الفتاح السيسي الرئيس المصري الحالي، رغم انقلابه على الشرعية الانتخابية في مصر وعزله الرئيس الراحل محمد مرسي الذي

كان يحظى بدعم أدروغان وحكومة حزبه. وفيما يخص الأزمة الليبية هناك نقاط اختلاف بينهما، إذ تدعم تركيا حكومة الوفاق الوطني المعترف بها دوليًا في طرابلس، بينما روسيا تدعم حكومة مجلس النواب في طبرق برئاسة عبد الله الليبي وقواتها المسلحة بقيادة خليفة حفتر¹⁹.

وضع الأكراد السوريين هو نقطة خلاف أخرى بين موسكو وأنقرة. من الناحية التاريخية، كانت لروسيا دائمًا علاقة خاصة مع الأكراد. بمرور الوقت، أصبح الحكام الروس ينظرون إلى الأكراد على أنهم قوة ضغط ضد أعدائهم. ابتداءً من الثمانينيات، دعم الاتحاد السوفيتي ثم روسيا حزب العمال الكردستاني واستخدموه كورقة رابحة ضد تركيا. على عكس واشنطن، لم تعلن موسكو أبدًا أن حزب العمال الكردستاني منظمة إرهابية. كنتيجة طبيعية لموقف روسيا التقليدي تجاه الأكراد، يحاول بوتين الحفاظ على نفوذ روسيا على الأكراد في شمال سوريا، بما في ذلك حزب الاتحاد الديمقراطي²⁰.

ضمن ذات السياق، لا تتفق موسكو وأنقرة فيما يتعلق باتجاه خطوط أنابيب الطاقة في حوض بحر قزوين. حيث تتنافس على اتجاه مسارات طاقة لبحر قزوين مع قيام كلا البلدين بتعزيز مرور خطوط الأنابيب عبر أراضيها. اعترضت روسيا سابقًا، وإن كان ذلك بنجاح جزئي، على تحقيق باكو - تبيليسي - جيهان (BTC) و نابوكو، وهما مشروعان لخط أنابيب مخطط لهما لعبور الأراضي التركية²¹.

تهدف تركيا إلى أن تكون مركزًا للطاقة، وجزء رئيسي لممراتها بين الشرق والغرب، حيث يتم شحنها من بحر قزوين عبر تركيا إلى أوروبا. أحد أجزاء هذا الممر هو ممر الغاز الجنوبي (SGC)، والذي يتكون من خط أنابيب جنوب القوقاز، وخط الأنابيب عبر البحر الأدرياتيكي (TAP)، وخط أنابيب الغاز عبر الأناضول (TANAP). عندما يتم تشغيله بكامل طاقته، سينقل الغاز الطبيعي المضغوط 10 مليارات متر مكعب من الغاز عبر إيطاليا إلى الاتحاد الأوروبي، بينما تتلقى تركيا 6 مليارات متر مكعب من الغاز، نظرًا لأنه سينقل الغاز غير الروسي (حاليًا الغاز الأذربيجاني) عبر الأراضي غير الروسية، فإن الاتحاد الأوروبي يدعم مشروع خط الأنابيب هذا لأنه سيساهم في تقليل اعتماد دول الاتحاد الأوروبي على الطاقة الروسية²².

من ناحية أخرى، تهدف روسيا إلى احتكار نقل غاز بحر قزوين إلى السوق العالمية، وتسعى إلى نقله عبر الأراضي الروسية. إضافة إلى ذلك، هناك خلاف بين الكرملين وأنقرة حول نشر نظام الرادار للدروع الصاروخي لحلف الناتو في ملاطية - كورسيك في عام 2012، وهو أمر اعترضت عليه روسيا بشدة²³.

هناك مشكلة أخرى بين روسيا وتركيا تتمثل في سطحية البعد المجتمعي للعلاقة بينهما، فإن الافتقار إلى المنظمات غير الحكومية وعدم كفاية التفاعل بين تلك الموجودة يشكل عائقاً كبيراً أمام إقامة رابطة قوية بين المجتمعات. فعلى الرغم من مستوى التقارب الثنائي في فترة ما بعد الحرب الباردة، إلا أن مشاعر العداء اتجهت أحداث الحقبة التاريخية الماضية لازالت راسخة لدى الذاكرة المجتمعية لكلا البلدين. كما أن افتقار الطرفين لأسس مؤسسية هيكلية تقوم عليها علاقاتهما تعد عائقاً، والتي يتم من خلالها تعزيز علاقاتهما، تتمثل في مجلس تعاون رفيع المستوى، والذي يجتمع بمشاركة الوزراء المعنيين كل عام. هذه آلية أنشأتها تركيا مع العديد من الدول المجاورة لها. ومع ذلك، لا يمكن مقارنة آلية التعاون هذه بالاتحاد الأوروبي أو الناتو، الذي أقامت تركيا من خلاله علاقة مؤسسية متعددة الأبعاد مع شركائها الغربيين.²⁴

سادساً: العلاقات التركية الروسية في ظل الأحداث الدولية الراهنة:

1- أزمة كاراباخ:

اندلعت في 27 سبتمبر 2020 مواجهة عسكرية بين جمهوريتين سوفيتيتين سابقتين: أذربيجان وأرمينيا حول ناغورنو كاراباخ والمناطق السبع المحيطة بها، والتي تنتمي إلى أذربيجان وفقاً للأمم المتحدة، لكن أرمينيا تديرها منذ أوائل التسعينيات. وضع هذا الصراع روسيا في موقف حرج، حيث إنه يتكشف بين أرمينيا، وهي عضو في منظمة معاهدة الأمن الجماعي بقيادة روسيا، وأذربيجان، حليف وثيق لموسكو. في المقابل، رأت تركيا فرصة لزيادة نفوذها في جنوب القوقاز -وهي منطقة ترى أنقرة أنها تقع في جوارها المباشر- من خلال نفس الصراع، ولهذا الغاية قدمت دعمها الكامل والفعال لأذربيجان. وقد اتخذ هذا الدعم عدة أشكال²⁵:

1-1- على المستوى العسكري: نفذت أذربيجان هجمات كثيفة باستخدام طائرات بدون طيار، كانت تركيا أحد الموردين الرئيسيين إلى جانب إسرائيل للمعدات العسكرية والطائرات بدون طيار إلى أذربيجان، ومن المرجح جداً أن تركيا قد قدمت أيضاً خبرة فنية مباشرة في تشغيلها. ثانياً، أفادت التقارير أن تركيا أرسلت 53 مقاتلاً سورياً لمساعدة الجانب الأذربيجاني وحماية المنشآت والبنى التحتية الاستراتيجية. إن وجود المقاتلين الأجانب في هذا الصراع وفي جنوب القوقاز بشكل عام سيشكل تهديداً كبيراً لروسيا، نظراً لقرب المنطقة من البلاد. ثالثاً، وفقاً لعدة تقارير، أبقت تركيا عدداً من الطائرات الحربية من طراز **F-16** في مدينة كنجة الأذربيجانية كرادع بعد مناورة مشتركة في جويلية وأوت من عام 2020. الأمر الذي

فندته تركيا، كما يمكن أن تبرر مساعدتها العسكرية لأذربيجان من خلال الاستشهاد باتفاقية الشراكة الإستراتيجية والمساعدات المتبادلة، التي وقعتها مع باكو في عام 2010، وتغطي مجالات واسعة للتعاون الأمني بين الجانبين. أخيراً، كانت الحملة العسكرية الأذربيجانية المدعومة من تركيا في هذا النزاع الأخير موجهة نحو تقويض الوضع الراهن السابق في النزاع المجدد -على الرغم من حقيقة أن المجتمع الدولي، بما في ذلك الأمم المتحدة، قد اعترف بناغورنو كاراباخ والمناطق السبع المحيطة بها الواقعة تحت السيطرة الأرمنية على أنها تابعة لأذربيجان²⁶.

1-2- على المستوى الدبلوماسي: كانت تركيا معزولة وتواصلت مع روسيا لإطلاق مسار ثنائي، على غرار مسار أستانا، بشأن هذا الصراع. كانت تركيا تفضل الحصول على الأسبقية على مجموعة مينسك التابعة لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، التي تم إنشاؤها لإيجاد حل سلمي لنزاع ناغورنو كاراباخ ويشترك في رئاستها الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا -تم تهميش مجموعة مينسك بالكامل خلال هذه المعركة الأخيرة، والعملية الدبلوماسية التي تلتها. ونظراً لأن الصراع كان يحدث في الفضاء ما بعد الاتحاد السوفيتي، لم يكن لدى روسيا دوافع لمسار ثنائي مع تركيا في شكل عملية أستانا الجديدة بشأن الصراع، لا سيما العملية التي كان من الممكن اعتبارها موسكو وأنقرة على قدم المساواة في قيادتها. على عكس رغبة تركيا في إطلاق عملية يُنظر إليها على أنها داعم لأذربيجان، وروسيا لأرمينيا. فضلت موسكو أن تلعب دور الأخ الأكبر لكلا البلدين، فهي لم ترغب في التخلي عن نفوذها على أذربيجان. وكان من الممكن أن تؤدي عملية على غرار أستانا إلى زيادة وإضفاء الشرعية على دور تركيا في الصراع وفي ما يُعتبر الفناء الخلفي لروسيا، وهو أمر أرادت روسيا تجنبه²⁷.

2- السخط التركي الروسي من الغرب:

السخط من الغرب هو العامل المشترك للعلاقات بينهما، فلقد تم استخدام مفهوم "محور المستبعدين" كأحد النماذج التفسيرية لفهم عمق العلاقات التركية الروسية، الحجة الأساسية وراء هذا النهج هي أنه على الرغم من الاختلافات الهيكلية ووجهات النظر المتناقضة بين تركيا وروسيا تجاه القضايا الدولية، فإن كلا الفاعلين يختاران توطيد علاقتهما نتيجة لإحباطاتهما المشتركة تجاه السياسات الغربية والأمريكية الموجهة نحوهما. وفي ذات السياق يمكن إسقاط هذا النموذج التفسيري "محور المستبعدين" على منطقة الشرق الأوسط، إذ يمكن قراءة استياء تركيا من سياسة الولايات المتحدة في المنطقة هو الدافع الرئيسي لها للسعي إلى علاقات أفضل مع روسيا²⁸. والواقع أن الولايات المتحدة الغرب بشكل عام يعد

الطرف الثالث "غير المرئي" في معظم الارتباطات التركية الروسية، لا سيما عندما يتعلق الأمر بسياسة الشرق الأوسط، والتكيف مع التغييرات في القضايا الدولية وقراءة القادة الأتراك لها، إلى جانب التغييرات الحاصلة في السياسة الدولية والشرق أوسطية، هي محركات إضافية للعلاقات الوثيقة بين موسكو وأنقرة، وأحد الافتراضات المركزية للنخب الحاكمة في تركيا حول النظام الدولي هو أنه لم يعد متمركزًا حول الغرب. انطلاقًا من هذا المنظور ستكون المصالح التركية أفضل، باعتبار أن النظام العالمي مُقدَّر له أن يكون متعدد الأقطاب، مما يوفر في المقابل للقوى الإقليمية مثل تركيا مساحة أكبر للمناورة.²⁹

سابعاً: سيناريوهات الحرب الأوكرانية:

يمكن طرح ثلاث رؤى استشرافية محتملة في الحرب بين روسيا وأوكرانيا:

- السيناريو 1: "روسيا تحارب" (حرب استنزاف تركز على شرق/ جنوب أوكرانيا).
- السيناريو 2: "انسحاب روسيا" (جزئياً أو كلياً من أوكرانيا).
- السيناريو 3: "روسيا توطد" (تحقيق المزيد من المكاسب الإقليمية على البحر الأسود في أوكرانيا الساحل، واحتلاله كلياً أو جزئياً).

انطلاقاً من هذه السيناريوهات، تمكنت أنقرة من الحفاظ على علاقتها مع كل من موسكو وكيف دون تعريض حساباتها الجيوستراتيجية للخطر، وفي الوقت نفسه تجنب الاصطدام مع الدول الغربية في فرض عقوبات على روسيا. سمح دور الوسيط الرئيسي الذي كان الرئيس رجب طيب أردوغان حريصاً جداً على توليه لتركيا في وضع نفسها بشكل ملائم في وسط المعركة - وليس فقط في الصراع بين روسيا وأوكرانيا ولكن على نطاق أوسع في الصراع بين روسيا والغرب³⁰. وحتى دولياً بين الغرب والعديد من الدول غير الغربية التي فضلت اتباع نهج أكثر حذراً وتوازناً تجاه الحرب. لقد هدد الاستقطاب السياسي والأيديولوجي العام الذي حرضت عليه الحرب في أوكرانيا العديد من البلدان التي عملت لسنوات لبناء سياسة خارجية متوازنة وعملية ومتعددة الأبعاد، حيث تضطر العديد من الدول لاتخاذ خيار صعب. بضغط الدول الغربية عليها، وتوجيه من الولايات المتحدة على اتخاذ موقف معاد لروسيا، وهو ما يعني غالباً التخلي عن تحقيق التوازن بين القوى الكبرى والقوى الإقليمية الصاعدة. كما أظهرت الحرب، في بيئة دولية شديدة التوتر، أن موقف الحياد والتوازن من جانب البلدان التي تكافح من أجل عدم الانحياز إلى جانب غير مرحب به من قبل الأطراف المتصارعة، التي تسعى جاهدة لحشد الدعم لجهودها الخاصة. وفي

هذا الصدد، كان على تركيا على وجه الخصوص أن تشق طريقًا لا يهدد العلاقات مع روسيا أو الاتحاد الأوروبي، إذ قدمت الحرب في أوكرانيا فرصًا ومخاطر لأنقرة. فبعد تركز السلطة السياسية في 2015 في يد رجب أردوغان، نقل الرئيس طموحاته وأهدافه الشخصية إلى صدارة السياسة الخارجية لتركيا. حيث سعى إلى جعل تركيا قوة إقليمية قادرة على تصميم وتوجيه بنية أمنية جديدة "ما بعد الغربية" في أوراسيا الكبرى وواحدة من أولى القوى غير الغربية التي تساهم في تشكيل النظام العالمي الجديد متعدد الأقطاب. للحفاظ على هذا المسار، كان على تركيا أن تجد طريقة مناسبة للتعامل مع تحدي أوكرانيا³¹. على أنه أصبح لدى تركيا هدفان ضمن أولوياتها عندما غزت روسيا أوكرانيا في 24 فبراير: الحفاظ على مواقعها العالمية والإقليمية، التي تمكنت تركيا من ترسيخها وتعزيزها بعد عام 2016، وكذلك تعزيز نفوذ أنقرة والحفاظ على الإنجازات السابقة لضمان مزيد من التوسع. فالهدف الأول: الحفاظ على مواقع تركيا العالمية والإقليمية، والذي ينعكس في العديد من التطورات التي أصبحت ضرورية في سعي أنقرة للثبات على مكانتها، حيث هددت الحرب في أوكرانيا سياسة تركيا البراغماتية المتعددة الأبعاد التي تدعم سياستها الخارجية. لا يمكن للاندماج السياسي لحلف شمال الأطلسي ودول الاتحاد الأوروبي ضد روسيا أن يفلت من اهتمام تركيا. ولا يمكن أن تظل أنقرة على الهامش والامتناع عن التدخل، نظرًا لعلاقتها الوثيقة مع العديد من الدول الغربية والتزاماتها تجاه الناتو. من ناحية أخرى، لا ترغب تركيا في تدهور علاقاتها مع روسيا من خلال الانضمام إلى العقوبات التي يقودها الغرب، والتي رفضت أنقرة المشاركة فيها منذ عام 2014. بالنسبة لتركيا، تعد روسيا شريكًا تجاريًا مهمًا (32.5 مليار دولار اعتبارًا من عام 2021)³²، ومصدر رئيسي للاستثمار الأجنبي (أكثر من 10 مليارات دولار)، وعائد هائل للسياح (الروس يمثلون ما يقرب من 5 ملايين زيارة، أو 1 في المائة من إجمالي الزيارات السياحية الأجنبية)، ومورد مهم للطاقة، و"عدو" مهم في العديد من الملاعب الإقليمية حيث تمكنت تركيا (وإن لم يكن بدون روسيا) من إنجاز شيء ما بالفعل، كما هو الحال في سوريا وليبيا وناغورنو كاراباخ³³.

خاتمة:

بناءً على ما تقدم، يمكن القول أن العلاقة بين روسيا وتركيا تتراوح بين التعاون والتنافس عبر أدوات القوة. مع حرصهما على عدم السماح للمنافسة بالتطور إلى الصراع، وكانت البراغماتية وتحييد الخلافات عوامل مساعدة عند محاولة التنبؤ بالمسار المستقبلي المحتمل للعلاقة، وهو مسعى مشحون إما على مستوى القيادة الشخصية بين بوتين وأردوغان وكلاهما يرى الترويج الغربي للديمقراطية الليبرالية على أنه

تهديد رئيسي لسلطتهما. أما على مستوى النظام الدولي، هناك مجال أكبر للمنافسة. أولاً: لكل منهما تاريخ حضاري عريق يؤكد مكانتهما كقوتين عظميين سابقا، وتتبع كل من موسكو وأنقرة حالياً مساراً "أوروآسيوياً"، والذي يتناقض مع ما يسمى بالغرب، ولكن في الوقت نفسه تُعرّف كل دولة نفسها على أنها القائد الطبيعي لمنطقة أوراسيا، مما يترك مجالاً للمنافسة بينهما. إلا أن المتبع للمسار الطبيعي بينهما يجد مجالات تصادم مستقبلية بين البلدين لاعتبارات إيديولوجية، براغماتية ودينية في ظل تراجع نظام الأحادية القطبية إلا إذا تغيرت رؤى قيادات البلدين لتكون نظرتهمما للتقارب أكثر منها للتنافس.

نتائج الدراسة: من خلال دراسة موضوع العلاقات الروسية التركية تم التوصل للنتائج التالية:

* أن العلاقات الروسية التركية شهدت فترات تاريخية تميزت بالتوتر حيناً وبالودية حيناً آخر، خلال فترة الحرب الباردة نتيجة تحرك تركيا ضمن الإستراتيجية الغربية وانضمامها للحلف الأطلسي في مواجهة الإتحاد السوفييتي. غير أن الطرفان استثمرا في مساحات الفراغ الجيوسياسية التي خلفها انهيار الإتحاد السوفييتي وانفتح أكثر في علاقته بالطرف الآخر.

* يسعى الطرفان لأجل بناء علاقات وثيقة تربط مصالحهما، بعيداً عن متغيرات التنافس، الصراع أو النزاع، وتحقيقاً لأهدافهما الإستراتيجية على الساحة الإقليمية والدولية. فبرغم اختلاف رؤى القيادة السياسية للبلدين وانطلاقهما من البعد التاريخي الحضاري لدولتيهما، فإن كل منهما كان يرى في الآخر متغيراً مهماً ومساعداً لمواجهة ومجابهة التغيرات السياسية على مستوى النظام الدولي، فقد سعت تركيا جاهدة لعدم الانخراط ضمن السياسات والعقوبات الغربية الموجهة ضد روسيا، باعتبارها شريكاً اقتصادياً ومورداً أساسياً للطاقة.

5. التهميش:

- ¹ - معمر سليم فيصل الخولي، العلاقات التركية الروسية من ارث الماضي الي افاق المستقبل، الدوحة، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2014.
- ² - Robert E. Hamilton Anna Mikulska, Russian-Turkish relations and their implications for the west, foreign policy research institute, April 2021, p8.
- ³ - <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- ⁴ - حنا عزو بھنان، العلاقات التركية -السوفيتية 1925-1935، جامعة الموصل، العراق: مركز الدراسات الإقليمية، دت، ص2
- ⁵ - Robert E. Hamilton Anna Mikulska, ibid, p9.
- ⁶ - Russia never considered Turkey a strategic ally-Lavrov: <https://armenpress.am/eng/news/1031553.html>
- ⁷ - Pavel K. Baev Kemal Kirişçim An ambiguous partnership the serpentine trajectory of Turkish-Russian relations in the era of Erdoğan and Putin, turkey project policy paper Number 13 -September 2017, P4.
- ⁸ - Robert E. Hamilton Anna Mikulska, ibid, p18.
- ⁹ - العلاقات التركية الروسية ومعضلة ثنائية التعاون والأزمات على الرابط: <https://rouyaturkiyyah.com/research>
- ¹⁰ - Editorial Board, new stage of Russia-Turkey economic relations, Moscow: Russian international affairs council, 2016, p4
- ¹¹ - Ziya Öniş and Şuhnaz Yılmaz. Turkey and Russia in a Shifting Global Order: Cooperation, conflict and asymmetric interdependence in a turbulent region// third world quarterly. 2015. URL: <http://www.suits.su.se/polopoly>
- ¹² - محمود سمير الرنتيسي، العلاقات التركية-الروسية: مستقبل التعاون الاقتصادي والخلاف السياسي على الرابط: <https://studies.aljazeera.net/ar/report>
- ¹³ - Editorial Board, ibid, p. 6.
- ¹⁴ - ibid, p 7.
- ¹⁵ - تورغوت دمير تبا، وحبيب أوزدال، وحسن سليم أوزرتم، وكريم هاص، العلاقات التركية الروسية: من التنافس إلى تعاون متعدد الأبعاد، منشورات أوساك، (أنقرة: 2013)، ص20.

¹⁶ - Anna Borshchevskaya and Jeremy Vaughan. How the Russian Military Reestablished Itself in the Middle East. Washington Institute for Near East Policy. Date: 17-10-2016. Link: <https://bit.ly/2JYjmky>

¹⁷ - محددات العلاقات الروسية - التركية وآفاقها على الرباط: [/https://www.harmoon.org/researches](https://www.harmoon.org/researches)

¹⁸ - فاتح أوزباي، "العلاقات التركية الروسية بعد الحرب الباردة: 1992-2010". الإستراتيجية الحكيمة، الإصدار: 2، العدد: 4، (ربيع 2011)، ص52.

¹⁹ - Gutuna Anil, Turkish-Russian Relations in the Post Soviet Era: From Conflict to Cooperation, A Thesis for the degree of Master of Sience in International Relations, Submitted to the graduate of science of Middle East, Technical University, January 20.

²⁰ Ibid.

²¹ - واكيم جمال، صراع القوى الكبرى على سوريا: الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2011.

²² - المرجع نفسه.

²³ - روسيا تستنفر قواتها العسكرية والسياسية لمواجهة الأزمة الأوكرانية، صحيفة الحياة، العدد 26، السعودية، 2014، تاريخ الاطلاع: 02-03-2018، 30:16 سا، عنوان الوثيقة: <http://www.alhayat.com/Articles/77942>

²⁴ - Gutuna Anil, ibid.

²⁵ - لمزيد من المعلومات حول المنصة، انظر: Vügar İmanov، "منصة التعاون والاستقرار في القفقاس"، Central Euroasian Studies: Past, Present and Future، أيار 2011، ص 143-153.

²⁶ - المرجع نفسه.

²⁷ - Joya Angela, Syria and The Arab Spring: The Evolution of The Conflict and The Role of The Demestic and External Factors, Journal of Politics and International Relations, Middle East Studies, Vo4, N01, Turkey, July 2017, P33.

²⁸ - نيوف صلاح، تطور العلاقات الروسية التركية، المركز الكردي للدراسات، 12-04: عنوان الوثيقة،

تاريخ الاطلاع: 24-02-2018، 11:30 سا، <http://google/2apo> 2014

²⁹ - المرجع نفسه.

³⁰ - Filiz Tutku Aydın, "Turkey's policy on the Russian-Ukrainian crisis", SETA, 11 February 2022, p:9. "accessed 27 February 2022".

<https://cutt.us/oJYcF>

³¹ - Ibid. p11.

³² - عليان محمود عليان، التوافق والصراع في العلاقات التركية الروسية، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا:

المركز الديمقراطي العربي للنشر، ط1، دت، ص 20.

³³ - Iliya Kusa, Turkey's goals in the Russia-Ukraine war

<https://www.wilsoncenter.org/blog-post/turkeys-goals-russia-ukraine-war>